



## علم مختلف الحديث ومشكله

وهو العلم الذى يجمع بين ما ظاهره التعارض من الأحاديث ويوفق بينهما، إما بتقييد مطلقها، أو بتخصيص عامها، أو بحملها على تعدد الحادثة التى جاء من أجلها الحديث، أو نحو ذلك .

أو العلم الذى يبين تأويل ما يشكل من الحديث النبوى وإن لم يعارضه حديث آخر .

ويسمى بعض العلماء هذا باسم «مختلف الحديث» أو «مشكل الحديث» أو نحو ذلك، ولا ينبغ فى هذا العلم إلا من جمع بين الحديث والفقہ .

### • وجه الحاجة إلى علم مختلف الحديث ومشكله

دعت الحاجة إلى هذا العلم حيث نشأت الفرق، وكثرت الطوائف، وعزز كل مذهب، وحرص على نقض مذهب الآخر، وأثار بعضهم - كالمعتزلة والمرجئة والقدرية والمفوضة والرافضة والخوارج - أثاروا شُبُهًا حول بعض الأحاديث التى يتعارض ظاهرها مع مذهبهم، أو يبدو فيها التناقض، فرد أهل الحديث ما ذهبوا بالتوفيق بين النصوص، أو دفع ما فيه شُبُهة .

يقول ابن قتيبة: «فإنك كستبت إلى تعلمنى ما وقفتَ عليه من ثلب أهل الكلام أهل الحديث وامتھانھم، وإسھابھم<sup>(١)</sup> فى الكتب بدمھم، ورميھم بحمل الكذب ورواية المتناقض حتى وقع الاختلاف، وكثرت النحل، وتقطعت العصم، وتعادى المسلمون، وأكفر بعضهم بعضاً، وتعلّق كل فريق منهم لمذهبه بجنس من الحديث .

(١) فى القاموس: وأسهب: أكثر الكلام فهو مسهب - بكسر الهاء - ومسهب - بفتحها .

فالخوارج تحتج بروايتهم: «ضعوا سيوفكم على عواتقكم ثم أبيدوا خضراءهم»<sup>(١)</sup>، و«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم خلاف من خالفهم» - و«من قتل دون ماله فهو شهيد».

والقاعد يحتج بروايتهم: «عليكم بالجماعة فإن يد الله عز وجلّ عليها» - و«من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه»، و«اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشي مسجدع الأطراف» - و«كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل».

والمرجئ يحتج بروايتهم: «من قال لا إله إلا الله فهو في الجنة، قيل: وإن زنى وإن سرق، قال: وإن زنى وإن سرق».

والمخالف له يحتج بروايتهم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» - و«لم يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه».

والقدرى يحتج بروايتهم: «كل مولود يُولد يُولد على الفطرة، حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرّانه»، وبأن الله تعالى قال: «خلقتُ عبادي حنفاء، فاجتالتهم»<sup>(٢)</sup> الشياطين عن دينهم».

والمفوضّ يحتج بروايتهم: «اعملوا فكل مُسرّاً لما خُلقَ له».

والرافضة تتعلق في إكفارها صحابة رسول الله ﷺ بروايتهم: «ليردن على الحوض أقوام، ثم ليختلجن»<sup>(٣)</sup> دوني، فأقول: أى ربى.. أصحابي أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك...».

ويحتجون في تقديم على ﷺ بروايتهم: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي... اللهم آل من والاه، وعاد من عاداه».

(١) أى سوادهم وجماعتهم.

(٢) اجتالتهم: استخفّتهم فجالوا معهم فى الضلال.

(٣) بالبناء للمفعول: أى يُجتذبون ويُقتطعون.

ومخالفوهم يحتجون في تقديم الشيخين رضى الله عنهما بروايتهم: «اقتدوا بالذين من بعدى، أبى بكر وعمر»- «يأبى الله ورسوله والمسلمون إلا بأبى بكر»... ثم ذكر مقالات المعتزلة من النظام، وأبى الهذيل العلاف وغيرهما...»<sup>(١)</sup>.

### • أشهر المصنّفات فى علم مختلف الحديث ومشكله

١- كتاب «اختلاف الحديث» للإمام محمد بن إدريس الشافعى (ت ٢٠٤هـ) وهو من أقدم ما وصلنا من مصنّفات هذا العلم، وقد طُبِعَ هذا الكتاب على هامش الجزء السابع من كتاب الأم.

٢- كتاب «تأويل مختلف الحديث» للإمام الحافظ أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦هـ)، وقد وضعه فى الرد على أعداء الحديث الذين اتهموا أصحاب الحديث بحمل الأخبار المتناقضة، ورواية الأحاديث المشكّلة، فجمع بين الأخبار التى ادعوا التناقض فيها، وأجاب عما أوردوه من شبه على بعض الأخبار.

٣- كتاب «مشكل الآثار» للإمام المُحدِّث الفقيه أبى جعفر أحمد بن محمد الطحاوى (ت ٣٢١هـ) وقد طُبِعَ هذا الكتاب فى الهند.

٤- كتاب «مشكل الحديث وبيانه» لأبى بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصارى الأصبهاني (ت ٤٠٦هـ) وقد طُبِعَ هذا الكتاب فى الهند كذلك<sup>(٢)</sup>.

### • أمثلة من هذا العلم لابن قتيبة

١- قالوا: حديثان متناقضان -قالوا: رويتم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تفضلونى على يونس بن متى، ولا تخايروا بين الأنبياء» ثم رويتم أنه قال:

(١) كتاب تأويل مختلف الحديث - لابن قتيبة - الطبعة الأولى، فرج الله زكى الكردى بمصر ص ٢ وما بعدها.

(٢) أصول الحديث.. علومه ومصطلحه ص ٢٨٦.

«أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق عن الأرض ولا فخر» قالوا: وهذا اختلاف وتناقض.

قال أبو محمد (ابن قتيبة): «ونحن نقول: إنه ليس ههنا اختلاف ولا تناقض، وإنما أراد أنه سيد ولد آدم يوم القيامة، لأنه الشافع يومئذ والشهيد، وله لواء الحمد والحوض، وهو أول من تنشق عنه الأرض، وأراد بقوله: «لا تفضلوني على يونس» طريق التواضع. وكذلك قول أبي بكر رضي الله عنه: وليتكم ولست بخيركم، وخَصَّ يونس لأنه دون غيره من الأنبياء مثل: إبراهيم وموسى وعيسى صلى الله عليهم وسلم أجمعين، يريد: فإذا كنت لا أحب أن أفضَّل على يونس فكيف غيره ممن هو فوقه؟ وقد قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]، أراد أن يونس لم يكن له صبر كصبر غيره من الأنبياء، وفي هذه الآية ما ذلك على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه، لأن الله تعالى يقول له: لا تكن مثله، وذلك على أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد بقوله: «لا تفضلوني» على طريق التواضع، ويجوز أن يريد: لا تفضلوني عليه في العمل، فلعله أكثر عملاً مني، ولا في البلوى والامتحان، فإنه أعظم مني محنة، وليس ما أعطى الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة من السؤدد والفضل على جميع الأنبياء والرسل بعمله، بل بتفضيل الله تعالى إياه واختصاصه له، وكذلك أمته أسهل الأمم محنة، بعثه الله تعالى إليها بالحنيفية السمحة، ووضع عنها الإصر والأغلال التي كانت على بنى إسرائيل في فرائضهم، وهي مع هذا خير أمة أخرجت للناس بفضل الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

٢- قالوا: حكم في الوصية يدفعه الكتاب، قالوا: رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا وصية لوارث» والله تعالى يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]. والوالدان وارثان على كل حال، لا يحجبهما أحد عن الميراث، وهذه الرواية خلاف كتاب الله عز وجل.

(١) تأويل مختلف الحديث ص ١٤١ - ١٤٣.

قال أبو محمد: ونحن نقول: إن هذه الآية منسوخة، نسختها آية الموارث - فإن قال: وما في آية الموارث من نسخها؟ فإنه قد يجوز أن يُعطى الأبوان حظهما من الميراث، ويُعطى أيضاً الوصية التي يُوصى بها لهما - قلنا: لا يجوز ذلك، لأن الله تعالى جعل حظهما من ذلك الميراث المقدار الذي نالهما بالوراثة، وقال عزَّ وجلَّ بعد آية الموارث: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٣ - ١٤]. فوعد على طاعته فيما حدَّ من الموارث أعظم الثواب، وأوعد على معصيته فيما حدَّ من الموارث بأشد العقاب، فليس لأحد أن يوصل إلى وارث من المال أكثر مما حدَّ الله تعالى وفرض (١).

٣- قالوا: حديثان متناقضان فيما ينجس من الماء، قالوا: رويتم عن النبي ﷺ أنه قال في غير حديث: «الماء لا ينجسه شيء»، ثم رويتم عنه ﷺ أنه قال: «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل نجسًا» وهذا دليل على أن ما لم يبلغ قلتين حمل النجس، وهذا خلاف الحديث الأول.

قال أبو محمد: ونحن نقول: إنه ليس بخلاف للأول، وإنما قال رسول الله ﷺ: «الماء لا ينجسه شيء» على الأغلب والأكثر، لأن الأغلب على الآبار والغدران (٢) أن يكثر ماؤها، فأخرج الكلام مخرج الخصوص، وهذا كما يقول: السيل لا يرد شيء، ومنه ما يرد الجدار، وإنما يريد الكثير منه القليل، وكما يقول: النار لا يقوى عليها شيء، ولا يريد بذلك نار المصباح الذي يطفئه النفخ، ولا الشرارة، وإنما يريد نار الحريق، ثم بين لنا بعد هذا بالقلتين مقدار ما تقوى عليه النجاسة من الماء الكثير الذي لا ينجسه شيء (٣).

(١) تأويل مختلف الحديث ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٢) الغدران - بضم الغين المعجمة: جمع غدِير، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل، والنهر الصغير.

(٣) تأويل مختلف الحديث ص ٤٣٣ - ٤٣٤.